قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



جهود العباسيين في إنشاء المكتبات والمدارس(132-656هـ/ 750-1258م)

The Efforts of the Abbasids in Establishing Libraries and Schools (132-656h/750-1258)

هاشمي آمال [1] *
[1] جامعة أحمد بن بلة، وهران 1، الجزائر.

Key words:
The Abbasid era
Libraries
Arab-Islamic civilization
Books
Baghdad.

Abstract

Through the title chosen for this research paper, "The Efforts of the Abbasids in Establishing Libraries and Schools," we sought to highlight the importance of the educational and pedagogical system during the Abbasid era, which witnessed the construction of educational centers that varied between institutes and schools, each accompanied by libraries rich with valuable and diverse books and works. This was a fundamental factor in the advancement of Arab-Islamic civilization.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال :2025-11-01
القبول : 2026-04-18

الكلمات المفتاحية:
العصر العباسي
المكتبات
الحضارة العربية الإسلامية
الكتب
بغداد.

ملخص

من خلال العنوان الذي أختير لهذه الورقة البحثية والموسوم ب" جهود العباسيين في إنشاء المكتبات والمدارس"، حاولنا إظهار أهمية النظام التعليمي والتربوي خلال العصر العباسي الذي شهد تشييد مراكز التعليم، التي تنوعت بين معاهد ومدارس ألحقت بها مكتبات تزخر بالكتب والمصنفات النفيسة والمتنوعة، وكان هذا عاملا أساسيا في رقي الحضارة العربية الإسلامية.

* Corresponding author at : University of Oran 1 Ahmed ben Bella. ALGERIA.
Email :hachemi_a@ymail.com

1. مقدمة

لا أحد يشك أن الحياة الثقافية والعلمية تتطور بفضل المكتبات وما تزخر به من آثار متنوعة، اذ تعد خزائن الكتب من أهم المنشآت التعليمية التي أدت دورا في تنشيط الحركة العلمية، ولما كان يتعذر على غير الأغنياء اقتناء الكتب، فقد تم إقامة معاهد علمية أنشأها من رام تلقين العلوم والمعارف للغير، بغية جمع كتب تعار إلى كل القراء، كما فعل العباسيون حيث حرصوا على ترجمتها والمحافظة عليها في مكتبات وجدت في قصور الخلفاء وفي المدارس والكتاتيب والجوامع، والتي حظيت باهتمام كبير من طرف الخلفاء والأمراء والحكام وكانت هذه الخزائن بما حوته من كتب في جميع التخصصات إشعاعا حضاريا أحدث نهضة فكرية وعلمية في جميع المجالات، وعليه سيقت هذه الدراسة الموسومة ب: جهود العباسيين في إنشاء المكتبات والمدارس(656-132هـ/ 1258-750م). إذا فنشاط المكتبات في العصر العباسي كان من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم ورقي الحياة الفكرية للمسلمين آنذك. والإشكالية التي سنطرحها من خلال هذا الموضوع، تتمثل في التساؤل التالي: ما هي أهم المكتبات والمدارس وأشهرها في العصر العباسي؟ وانطلاقا من طبيعة هذا الموضوع فقد وظفنا المنهج التاريخي لأجل معرفة أهم المكتبات في هذه الحقبة، فهو المنهج القائم على جمع المادة التاريخية وتوظيفها وفق إطارها الزماني وتحليلها.. خاصة في العصر المذكور الذي اعتبر من أخصب العصور وأحفلها بالمنجزات العلمية.

1ـ قيمة الكتب وأهميتها عند العباسيين.

لقد عرف عن المسلمين العرب عنايتهم الفائقة بالكتب وتقديرهم لقيمتها، وكثيرا ما كان يتحدث العربي عن الكتاب حتى ليظن القارئ أنه يتحدث عن صديق نما وده وزاد إخلاصه، أو حبيب طال بعده أو كثر الشوق إليه، أو رائد يقود المتكلم للطريق المستقيم ويأخذ بيده إلى الغاية الرشيدة (**أحمد شلبي**، 1973، **صفحة** 141).

ويذكر الجاحظ(ت هـ255/869 م) فضل الكتاب قائلا: "الكتاب هو الذي يؤدي إلى الناس كتب الدين، وحساب الدواوين مع خفة نقله وصغر حجمه، صامت ما أسكته، وبليغ ما استنطقته، ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال فشلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له والتذمم منه ومن لك بزائر إن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك مكان بعضك.. فالكتاب هو الجليس الذي لا يطالب العرف والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملّك، والمستميح الذي لا يستثريك والجار الذي لا يستبطيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال عليك بالكذب (**الجاحظ**، 1963، **صفحة** 50ـ51).

ومما يظهر قيمة الكتاب ما يذكر عن محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الأديب الذي اعتزل فترة من الزمن في بيته وأراد الجاحظ زيارته، فرأى خير هدية إليه يستصحبها معه "كتاب سيبويه" إمام العربية، وتسلم الوزير الهدية فرحا مسرورا، وقال للجاحظ: "والله ما أهديت لي شيئا أحب إلي منه" (**مصطفى السباعي**، 1977، **صفحة** 156). ويروى أن بعض الخلفاء أرسل في طلب بعض العلماء ليسامره، فلما جاء الخادم إليه وجده جالسا وحواليه كتب، يطالعها. فقال له: "إن أمير المؤمنين يستدعيك، قال: قل له: عندي قوم من الحكماء أحادثهم فإذا فرغت منهم حضرت. فلما عاد الخادم إلى الخليفة وأخبره بذلك، قال له: ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد. قال: فأحضره الساعة كيف كان. فلما حضر ذلك العالم قال له الخليفة: من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك قال: يا أمير المؤمنين: هم جلساء ما تمل حديثهم: أميون مأمونون غيبا ومشهدا. فعلم الخليفة أن الحكماء هم الكتب (**أحمد شلبي**، **صفحة** 144).

وقال ابن الجهم "إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم -وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة – قال: "فإذا اعتراني ذلك تناولت كتابا من كتب الحكم، فأجد اهتزازي للفوائد". ويقول أيضا: قال اللؤلئي: غبرت أربعين عاما ما قلت ولا بت ولا اتكأت إلا والكتاب موضوع على صدري" (**الجاحظ**، **صفحة ص**52).

وروى أن المكتفي (289هـ-295هـ/908-902م) طلب من وزيره مرة كتبا، فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك، وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة فحصلوا شيئا من كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيّل في استخراج الأموال، فلما رأى الوزير هذه الكتب أمرهم بحملها لأنها تقلب الأمور وطلب بكتب فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه (**مصطفى السباعي**، **صفحة** 561).

حيث قال بعض العلماء في فضل الكتاب: قال أبو عبيدة: قال المهلب لبنيه في وصيته "يا بني لا تقوموا في الأسواق إلا على زرّاء أو ورّاق".

2ـ وصف المكتبات والاعتناء بها:

لم تكن المكتبات مقصورة على الكتب، بل كانت أحيانا مقرا يجتمع فيه طلاب العلم والعلماء، ويبحثون المسائل العلمية وهذا ما جعل هذا العصر يزخر بالعلم والعلماء (**أحمد أمين**، **صفحة** 221).

وكانت هذه المكتبات تحتوي على حجرات شتى يفرش الحصير على أرضها وتتدلى الستر على نوافذها وأبوابها وتثبت في جدرانها رفوفا من الخشب ينضد عليها الكتب بعضها فوق البعض، ويقسم النشاط في دور الكتب بين هذه الحجرات فبعضها للنسخ وبعضها الآخر للاطلاع والمراجعة (**ويل ديورانت**، **صفحة** 279).

وكان للمكتبات العامة موظفون يرأسهم خازن المكتبة، ومناولون يمدون المطالعين بالكتب ومترجمون ينقلون الكتب

إلى العربية، ونساخ يكتبون الكتب بخطوطهم الجميلة، ومجلدون يجلدون الكتب لتحفظ من التمزّق والضياع، ناهيك عن الخدم وغيرهم ممن تقتضيهم حاجة المكتبات، كما كانت تحتوي هذه المكتبات على فهارس يرجع إليها لتسهيل والاطلاع على مضامينها (**مصطفى السباعي**، **صفحة** 158).

أما الموارد المالية التي كانت تقوم بنفقات المكتبات، فكان من الأوقاف التي كانت تنفق على المكتبات وما يلزمها من ترميم، وكتب ومرتبات للموظفين، كما كان المشرف على المكتبة يحصل ربع الوقف وينفقه على مصاريفه السابقة، فلم تكن المرتبات ثابتة، بل كان المرتب يتبع في ارتفاعه وانخفاضه ما يستطيع المشرف أن يحصل من إيراد الوقف (**أحمد شلبي**، **صفحة** 187).

وممن اعتنى بمكتبته هو ابن العميد، فلما هاجم الجنود الخراسانيون داره، فر منها ثم عاد لما انصرفوا وذهب مسرعا إلى ابن مسكويه خازن مكتبته يسأله عنها إلا أنه وجدها، على حالها ويروي عنه الصاحب ابن عباد أنه فضل أن يبقى إلى جانب مكتبته العامرة على أن يتولى أعظم المناصب في بلاط نوح بن منصور السمائي.

وفي الاعتناء بالكتب وتصنيفها قال الجاحظ: "لايزال المرء في فسحة من عقله مالم يقل شعرا أو يصنف كتابا"(**الأصبهاني**، **صفحة** 41).

ومن خلال هذه النماذج التاريخية يلاحظ بأنه كان للكتاب أهمية بالغة سواء عند الوزراء أو عند الحكماء والكتاب العباسيين.

3ـ أهم المكتبات في العصر العباسي:

تعد المكتبات العربية الإسلامية نتاجا طبيعيا للحضارة الإسلامية وانعكاسا لها، كما ساهمت في توسيع نطاق الحضارة والعناية بها. ويعتبر العصر العباسي عصر النضج والرقي والإبداع في الحضارة الإسلامية، ففيه ازدهرت المكتبات وتطورت بشكل لم يسبق له مثيل، فوجدت فيه أنواع عديدة من المكتبات منها العامة مثل المكتبات الرسمية ومكتبات المساجد وغيرها، ومنها الخاصة مثل مكتبات الخلفاء والوزراء والعلماء والأدباء.

انتشرت المكتبات انتشارا كبيرا في كل أنحاء الدولة العباسية وكانت على نوعين رئيسيين عامة وخاصة.

3ـ1ـ**المكتبات العامة** :

أنشئت هذه المكتبات في المساجد والجوامع والمدارس لتكون في متناول الطلبة والوافدين إليها، إذ نادرا ما تجد مسجدا غير مزود بزخم من الكتب يرجع إليها الطلاب والباحثون، مثل " خزانة جامع بمرو كانت تحوي كتبا"(**معروف ناجي**، 1985، **صفحة** 469)، ومنها مكتبة البصرة التي كانت فهرسها عشرة مجلدات، وكان في بغداد ست وثلاثون مكتبة عامة(**شوقي أبو خليل**، **صفحة**446).

❖**بيت الحكمة**: يرجح أن هارون الرشيد (170 194-ه 808 786-م)هو الذي وضع أساسه وعمل المأمون(197-218ه/-813 835م) _من بعده_على إمداده بمختلف الكتب والمصنفات ويعتبر من أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي(**حسن إبراهيم حسن**، 1986، **صفحة** 347). وكان بيت الحكمة أشبه بجامعة يقبل عليها أهل العلم ينهلون من كتبها وينسخون، وكان فيها نساخ ومترجمون استقدمهم هارون الرشيد(170ه193هـ 786- 808م) للترجمة في الحكمة ومنهم أبو سهل الفضل بن نوبخت، وكذلك علان الشعوبي الذي كان منقطعا إلى البرامكة وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون(197هـ-218ه835-813/م). كما كان يتولى شأنها المأمون الذي جلب إليها الكتب من الهند وفارس واليونان ومصر وبلاد الروم وغيرها وأجزل العطاء للعلماء والمترجمين (**فتيحة النبراوي**، 1994، **صفحة** 261)،(**أحمد بن عبد الرزاق أحمد**، **صفحة** 23).

فمكتبة بيت الحكمة كانت نوعا من الفتح الفكري، الذي بلغ ذروته في صورة من صور النشوة الأدبية والعلمية بين رجال الفكر(**شوقي أبو خليل**، **صفحة** 446)

لكن بيت الحكمة لم يجد بعد -المأمون-العناية اللازمة، فقد أهملها المعتصم (218هـ-227هـ/ (م833-842الذي كان قليل المعرفة بالثقافة، لا يجد فيها لذة ولا يتذوق لها حلاوة، ولذلك لم يول بيت الحكمة اهتماما كبيرا، وإنما جلب المماليك ودربهم وسر ببطولاتهم، ثم هجر بسببهم إلى سامرّاء فأصيب بيت الحكمة بنكبة نتيجة انتقال العاصمة من بغداد إلى سامراء وظهور الفتن وهذا ما قلل من شأنها (**أحمد شلبي**، **صفحة** 184).

❖ **خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي**: الزيدي هو أبو الحسن علي بن أحمد (ت575ه/ 1180م) توفي ببغداد، وكان شريف النسب، معروفا بالزهد بنى الجامع وأنشأ مكتبة في عهد الخليفة المستضيئ بأمر الله (566هـ-575/ 1171 -1180) (**أحمد شلبي**، **صفحة** 188ـ189).

❖ **خزانة جامع البصرة**: لما احترق جامع البصرة في سنة (624هـ/ 1227م) تهدم معظمه وأعاد بناءه أبو المظفر بن عبد الله الرومي الناصري (ت640ه/1243م) وألحق به حجرتين وجعل في إحداهما كتبا(أدم ميتز، 1986، صفحة 287).

❖ **خزانة جامع قمرية ببغداد**: بني في عهد المستنصر بالله العباسي (623هـ640-هـ1243 1226-/ م) الذي جعل فيه خزانة كتب وحمل إليها مؤلفات كثيرة (**معروف ناجي**، **صفحة** 469).

وكما أنشئت المكتبات في المساجد، باعتبارها مكتبات عامة، نجد في المقابل الخواص الذين تنافسوا على اقتناء كتب متنوعة ووضعها في مكتبات خاصة تعمل على جلب طلبة العلم، ونذكر نماذج من هذه المكتبات الخاصة والتي قسمناها إلى مكتبات الخلفاء والوزراء والأخرى للعلماء والأطباء كالآتي:

3ـ2**مكتبة الخلفاء**: ومن أشهرها

❖**مكتبة أبي جعفر المنصور**(158-136ه775-754 م) :كان أول من عني بالعلوم من خلفاء بني العباس وكان بارعا في الفقه والفلسفة وقد نقل في عهده كتب اليونانيين إلى العربية، وجلب البارعين في النسخ والضبط وكل من أجاد التجليد، وتعتبر مكتبته الخاصة هي النواة الأساسية لبيت الحكمة.(**ابن أبي أصيبعة**، **صفحة** 213)

❖مكتبة الراضي بالله(329-322ه/ 940-934م): أسس مكتبة زاخرة بالكتب فكان يقوم عليها قبل توليه الخلافة، وبعد خلافته قام بتوسعتها وأغناها بأمهات الكتب وأعيانها وجند لها الوراقين والمجلدين كما ضمت تحفا خطية أيضا. (**الصولي أبو بكر**، **صفحة** 191)

3ـ3**المكتبات الخاصة بالوزراء**:

❖ خزانة أو مكتبة الفتح بن خاقان هو وزير المتوكل العباسي (232هـ247-ه 861-847/م) وقد قتل معه في سامراء سنة 247هـ 861/، وكان الفتح عالما واسع الاطلاع مولعا بالقراءة، كانت مكتبته واسعة، عهد بجمعها إلى رجل من خيرة رجال العصر علما وأدبا، ذلك هو علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم (**مصطفى السباعي**، **صفحة** 160).

❖ خزانة محمد بن عبد المالك الزيات: (ت233هـ/ 845 م) وزير المعتصم (218-227هـ/ 842-833) والواثق (227-232هـ/ 847-842م) والمتوكل (232-247هـ/ 847-861م) وكانت له بسامراء مكتبة فيها كتب نقلت من اليونانية، وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر ألفي دينار (**ناجي معروف**، **صفحة** 467).

❖ **خزانة كتب عضد الدولة البويهي**: (ت372هـ983 / م) توفي ببغداد حيث أقام بها مكتبة واهتم بتصنيف الكتب فيها وترتيبها وعين ابن ماسكويه خازنا عليها (أحمد أمين، صفحة 220).

❖ **مكتبة سابور بن أردشير**: وزير بهاء الدولة اشترى سنة 383هـ /393م دارا بالكرخ، وجدد عمارتها، وجعلها وقفا على أهل العلم والمتهنين، وزودها بعدد كبير من الكتب في شتى العلوم والآداب وسماها دار العلم. ويذكر المؤرخون أنه كان بدار العلم هاته عشرة آلاف مجلد حيث خصص لها موظفين للمحافظة عليها، كما عمل على توفير المال اللازم للإنفاق عليها. وكان أبو العلاء المعري يتردد عليها دون انقطاع عندما كان في بغداد، إذ كانت مكانه المفضل (**محمد سفر الزهراني**، 1986، **صفحة** 187ـ 188)، (**ناجي معروف**، **صفحة** 458).

❖ومما أنشئ أيضا مكتبة في العهد البويهي الوزير أبو الفضل بن العميد ت(528ه/ م1134) الذي تشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء، والأدباء والفلاسفة حيث سمي بالجاحظ الثاني لمكانته الأدبية الرفيعة، ومن مؤلفاته كتاب "المذهب في البلاغات" وكان مولعا بالكتب حيث أنه أنشأ مكتبة عظيمة وعين ماسكويه خازنا عليها.

❖أما الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد فيعد من أشهر رجال الأدب في عصره، حيث كان دؤوبا على عقد المجالس العلمية والأدبية، فألف العديد من الكتب أشهرها "كتاب المحيط"، حيث اهتم بجمع الكتب وكانت فهارس المكتبة التي أنشأها بمدينة الري عددها تقدر بعشرة مجلدات (محمد سفر الزهراني، صفحة 185). وظلت المكتبات على نشاطها خاصة دار العلم التي بناها الوزير سابور بن أردشير ودامت تقريبا سبعون عاما ثم احترقت سنة 450ه/ 1058م، إثر دخول السلاجقة ببغداد، حيث جاء الوزير السلجوقي عميد الملك الكندي وأخذ أخبار كتبها، إلا أن السلاجقة لم يكونوا أقل من الوزراء البويهيين في الاهتمام بالعلوم والمعارف خاصة وما قام به الوزير نظام الملك الطوسي في إنشاء مكتبة وزودها بعدد وفير من الكتب (**محمد سفر الزهراني**، **صفحة** 192ـ193).

4ـ3**خزائن كتب العلماء**.

❖ **خزانة الواقدي محمد بن عمر العالم بالمغازي والسير والفتوح**، ولي القضاء للمأمون ببغداد وتوفي بها سنة 207هـ/ 823 م، وكانت له خزانة كتب فيها آلاف التصانيف ويقال إنه خلف بعد وفاته ستمائة قمطر كتب كل قمطر منها حمل رجلين، وكان له غلامان يكتبان ليلا ونهارا (**ناجي معروف**، **صفحة** 466).

❖ **خزانة الكندي يعقوب بن اسحاق**: فيلسوف العرب الشهير (ت246هـ/860 م) ببغداد، كان عالما بالطب والفلسفة وقد دونت مؤلفاته الكثيرة في كل فن من الفنون (ناجي معروف، صفحة 467).

❖ **خزانة علي بن محمد المنجم**: كان ممن جالس العلماء حوالي منتصف القرن 3هـ حيث أنشأ خزانة كتب عظيمة في ضيعة قرب بغداد، وكان يسميها خزانة الحكمة وكان يقصدها الناس من كل بلد (**أدم ميتز**، **صفحة** 290)، (**أحمد أمين**، 1962، **صفحة** 220)، (**حسين محمد سليمان**، **صفحة**171).

❖ **خزانة الجاحظ**: هو أبو عثمان بن بحر (ت255ه/869 م) قيل عنه إنه لم يقع بين يديه كتاب إلا وقرأه وكانت له خزانة كتب شهيرة وروي أن موته كان بوقوع المجلدات عليه (**ناجي معروف**، **صفحة**467).

❖**مكتبة حنين ابن إسحاق**(264ه/ 878م): كان من أبرز الأطباء والمترجمين في عهد المأمون وكان أعلم زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية، وتميزت مكتبته بالثروة الضخمة من كتب الطب (**أحمد شلبي**، **صفحة** 200ـ201).

❖ **مكتبة أبو القاسم جعفر بن محمد حمدان الموصلي** (ت323هـ/ 935 م): أنشأها بالموصل وجعل فيها خزانة كتب في جميع العلوم وقفا لكل طالب علم ولا يمنع أحد من دخولها، وإذا جاءها غريب، يطلب الأدب وورقات، فتسلم له وكانت تفتح كل يوم (**مصطفى السباعي**، **صفحة** 158).

❖ **خزانة ابن النديم محمد ابن إسحاق** (ت384 ه/ 994م): صاحب كتاب الفهرست العظيم، كان وراقا يبيع الكتب، وحوت خزانته كثيرا من المصنفات أو المؤلفات.

❖ **خزانة الخطيب البغدادي**(463-392/1002م- 1071م): صاحب كتاب "تاريخ بغداد الشهير" كانت له خزانة كتب عامرة وقد وقفها قبل موته على المسلمين لكنها احترقت.

❖ **مكتبة ابن الخشاب** (567هـ/ 1172م) هو عبد الله بن أحمد الخشاب البغدادي كان من أعلم الناس بكلام العرب وأعرفهم بعلوم شتى من النحو واللغة والتفسير والحديث والنسب، جمع كتبا كثيرة جدا، فقد امتلك الكتب على نفسه، وشغف بها وبجمعها، فكان إذا حضر إلى سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال: "إنه مقطوع ليأخذه بثمن بخس"(**مصطفى السباعي**، **صفحة** 161).

❖ **خزانة ابن النجار**: (ت643هـ/1246 م) وهو محب الدين محمد بن محمود البغدادي المؤرخ مدرس الحديث بدار السنة بالمستنصرية، وكانت له خزانة كتب كبيرة، وقد وقفها على المدرسة النظامية ببغداد (**ناجي معروف**، **صفحة** 468).

4.المدارس:

أدت المدارس دورا هاما في التطور الحضاري الذي شهدته جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكان السبب في إنشاء هذه المدارس كثرة الطلبة بالمساجد والكتاتيب بالإضافة إلى تطور الأمم وتقدم المعارف الذي جعل الحاجة ملحة للحوار والجدل في الكثير من المواد والعلوم، كعلم الكلام وعلم الجدل والناظرة ولعل أهم سبب هو انشغال الكثيرين بالتعليم، فكان عليهم البحث عن طرق أخرى للرزق، وكان الحل الوحيد هو إنشاء مدارس تتكلف بالتعليم (**أحمد شلبي**، **صفحة** 113-114).

وقد ذكرت المصادر التاريخية مجموعة من المدارس كان في مقدمتها مدارس نيسابور وقد بنيت لمعاصري إسحاق الإسفراييني (ت418هـ/ 1027م) وتليها المدرسة التي بناها أبو بكر البيهقي (ت458هـ/ 1066م) (**أحمد أمين**، **صفحة** 230)، (**أحمد عبد الرزاق أحمد**، **صفحة** 27).

كما اهتم السلاجقة(552-429ه/ 1157-1037م) ببناء المدارس، خاصة وأن العراق كان يحكمها البويهيون الذين عملوا على نشر المذهب الشيعي، فخلفهم السلاجقة الذين أقاموا المدارس على أنقاضهم وذلك لنشر عقائد أهل السنة التي يرونها تطبيقا للدين الإسلامي، فقد كان هم السلاجقة هو نشر المذهب الشافعي في كل أنحاء الدولة العباسية (**عبد القادر سلمان المعاضدي**، 1983، **صفحة** 232)، (**أحمد شلبي**، **صفحة** 151).

ولما دخل السلاجقة بغداد سنة 447هـ/ 1055 م انتصر أهل السنة على الشيعة نتيجة إنشاء تلك المدارس التي يعود الفضل في إنشائها إلى السلطان أرب أرسلان ويقال إنه دخل مدينة نيسابور، فرأى جمعا من الفقهاء وطلاب العلم على باب أحد المساجد وهم في ثياب رثة، فلم يلتفتوا للسلطان عندما مر بهم، فسأل السلطان وزيره نظام الملك عنهم فقال له هم طلاب العلم وهم أشرف الناس نفسا، فلما سمع ذلك، أمر نظام الملك بإنشاء عدد من المدارس النظامية في كل أنحاء الدولة العباسية وهي: بغداد، بلخ، نيسابور، هرات، أصفهان، البصرة، مرو، آمل والموصل(**أحمد عبد الرزاق أحمد**، **صفحة** 28).

وأشهر هذه المدارس:

المدرسة النظامية: نسبت إلى نظام الملك(485-408ه/1018-1092م) لأنه جد في إنشائها وخطط لها، وأوقف لها الأوقاف الواسعة، واختار لها الأكفاء من الأساتذة فكان من الطبيعي أن تنسب إليه من دون السلاجقة(الصلابي، صفحة 278) وقيل إن هذه المدرسة بنيت للفقهاء، وفي سنة (459هـ/1076م) فرغت المدرسة النظامية ببغداد وقرر التدريس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي.

وقد أوقف نظام الملك على مدرسته كتبا وضياعا وأملاكا، وجعل إدارتها بيده وفي أيدي أبنائه من بعده، وعين فيها مدرسا، وواعظا ومدير مكتبة ومقرئا للقرآن الكريم، ونحويا يدرّس علوم اللغة العربية (**مجموعة من المؤلفين**، **صفحة** 506).

إلا أن بعض الدارسين يذكر أن أول المدارس التي أنشئت كانت نظامية في بغداد، ذلك أن نظام الملك قام بتقدير الطلبة، حيث يروى أن نظام الملك أنفق على بناء المدرسة النظامية ببغداد مائة ألف دينار، كما جعل لها كثيرا من الأوقاف للنفقة عليها، ويذكر ابن جبير في وصفه لنظامية بغداد أنها كانت أعظم مدرسة (**محمد سفر الزهراني**، **صفحة** 151). كما أسس نظام الملك مدرسته النظامية في مدينة نيسابور للإمام أبي المعالي عبد المالك الجويني(**محمد سفر الزهراني**، **صفحة** 191) ومدرسة ببلخ، ومدرس بهراة، ومدرسة بأصفهان، ومدرسة بالبصرة وبمرو وبآمل طبرستان ومدرسة بالموصل(**الصلابي**، **صفحة** 270). وإلى جانب اختيار أماكن المدارس النظامية فإنه كان يتم اختيار أساتذتها بعناية، وكان لا يعين الواحد منهم إلا بعدما يستمع إليه(**الصلابي**، **صفحة** 275)

وكان للمدارس النظامية أثرا كبيرا في العالم الإسلامي خاصة نظامية بغداد التي تخرج منها العديد من العلماء على المذهب السني الشافعي(**الصلابي**، **صفحة** 277)

كما ظهرت مدارس بمدينة واسط تأثرا بالنظامية "الملك" ومنها مدرسة الفارقي أنشأها القاضي أبو علي الحسن بن ابراهيم بن علي بن برهون الفارقي الفقيه الشافعي (ت 528هـ/ 1143م) (**عبد القادر سلمان المعاضيدي**، **صفحة** 234).

وكذلك من أشهر المدارس في بغداد هي المدرسة المستنصرية حيث بناها المستنصر بالله العباسي (623هـ-640هـ/1243-1226 م) على نهر الدجلة من الجانب الشرقي ودرست فيها المذاهب الأربعة، وعمل فيها مارستانا ورتب بيوت الفقهاء بالحصير والبسط والزيت والورق والحبر،

وغير ذلك، وخصص للفقيه بعد ذلك في الشهر دينارا ورتب له حماما، وهو أمر لم يسبق إلى مثله وابتدأ عمارتها سنة 625هـ/ 1228م وانتهت سنة 631هـ/ 1243م، ونقل إليها مائة وستين حملا من الكتب النفيسة وكان عدد فقهائها مائتين وثمانية وأربعين فقيها من المذاهب الأربعة، ورتب فيها الخبز والطبخ والفاكهة وجعل فيها ثلاثين يتيما ووقف عليها مالا يعبر عن كثرة .(**السيوطي، صفحة** 527).

الخزانة المستنصرية: افتتحت سنة 631هـ/ 1243م وكانت عبارة عن مكتبة غنية منظمة قصدها الكثير من العلماء والطلاب(**أحمد شلبي، صفحة** 192).

وهكذا يتضح بأن الدولة العباسية عملت على خدمة العلم وتطويره عن طريق إنشاء المعاهد العلمية من مكتبات ومدارس وذلك ما يؤكده قول الجاحظ: "ينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا، كسبيل من قبلنا فينا، على أن قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا، كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا فما ينتظر عالم بإظهار ما عنده، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه، وقد أمكن القول وصلح الدهر... وهبت ريح العلماء، وكسد العيّ والجهل... والمتعلم يجد في كل مكان الكتاب عقيدا، وبما يحتاج إليه قائما وأكثر من فرّط في التعليم أيام خمول ذكره، وأيام حداثة سنه (**الجاحظ، صفحة** 86).

إلا أن نكبة التتار حين دخلوا بغداد، أصابت هذه المكتبات قبل أن تصيب أي شيء غيرها، فقد حملوا تلك الكتب وألقوا بها في نهر الدجلة وظل ماء النهر أسود داكنا أشهر طويلة من تغيره بمداد الكتب التي أغرقت فيه (مصطفى السباعي، صفحة 162)، (**هاشم زكريا هاشم**، 1970، **صفحة** 298).

وهذا ما وضحه القلقشندي(821-756ه/ 1418-1355م) حين قال إن خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد كان فيها من الكتب مالا يحصى كثرة ولا يمكن تقويمها، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتار بغداد، وقتل ملكهم "هولاكو" المستعصم (640هـ656-هـ/ 1243-1258) آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة الكتب، فيما ذهب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها (**القلقشندي، صفحة** 466).

5.الخاتمة

ونخلص إلى أن العباسيين أولوا عناية خاصة بالمكتبات التي سهلت على الطالب التزود بالعلم الوفير في جميع العلوم والفنون دون مشقة أو عناء، كما قامت بدور بارز في نشر الثقافة والمعرفة، ومن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة:

-إن العصر العباسي حفل بالمنجزات العلمية ممثلة في الدواوين والمؤلفات والكتب والمخطوطات والآثار المترجمة.

- ان تهيئة الظروف الاجتماعية والثقافية المناسبة ساعد العلماء والأدباء على الإبداع والتجديد بتأليف الكتب الكثيرة.

-إن الدعم المادي والمعنوي الذي لقيه العلماء من الخلفاء والأمراء ساهم نشوء نهضة علمية وفكرية. وكانت المكتبات في العصر العباسي بمثابة مؤسسات تعليمية وملتقى للعلماء وطلبة العلم.

-كما حظي الكتاب باهتمام كبير وشأن عظيم من طرف الحكام الذين مدوهم بجاههم ومالهم.

-ومن الأسباب التي أدت إلى انتشار المكتبات وتطورها في العصر العباسي هو شغف الأمراء والخلفاء بالعلم وتأليفها الكتب، لذلك تنوعت المكتبات بين العامة والخاصة.

6.التعليقات

- ابن الجهم (ت249هـ /863 م): هو علي بن الجهم بن بدر أبو الحسن من بني سامة من لؤي بن غالب شاعر. (**الزركلي. صفحة** 77).

- **ابن الجوزي**(508هـ-597ه/.1201-1115 م): هو عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القريشي البغدادي أبو الفرج علامة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف. (**الزركلي. صفحة** 89).

- **ابن الخشاب** (492هـ-505هـ/ 1112-1099م): أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم المشهور في الأدب والنحو الشعر والحديث. (**ابن خلكان. صفحة** 103).

- **ابن مسكويه**: أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه أبو علي مؤرخ باحث أصله من الري (ت 421ه/ 1030م) وكان قيما على خزانة كتب ابن العميد (الخازن). (**الزركلي. صفحة** 204).

- **أبو اسحاق الشيرازي**(393ه-476ه / 1084-1003م): هو إبراهيم ابن علي بن يوسف الشيرازي الفيروز آبادي الملقب جمال الدين تفقه على جماعة من الأعيان، له عدة تصانيف. (**ابن خلكان. صفحة** 29).

- **أبو الفضل ابن العميد**: أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي والد عضد الدولة. (**ابن النديم. صفحة** 591).

- **أرب أرسلان** (**ت**479هـ-552ه/ 1157-1086م): أبو الحارث سنجر ابن ملك شاه ابن أرب أرسلان ابن داود ابن ميكائيل ابن السلجوقي سلطان خرسان. (**ابن خلكان. صفحة** 427).

- **أصفهان**: هي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها وأصبهان اسم إقليم بأسره، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع طولها ست وثمانون درجة وعرضها ست وثلاثون درجة تحت اثنتي عشرة درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجدي. (**ياقوت الحموي. صفحة** 57).

- **آمل**: اسم أكبر مدينة بطبرستان طولها سبع وسبعون درجة وثلث وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف وربع، وقد خرج

منها العديد من العلماء. (**ياقوت الحموي. ص**57).

ـ **بلخ**: مدينة مشهورة بخراسان ويقال إنها أكثرها خيرا وأوسعها غلة، وأول من بناها لهراسف الملك ويقال بناها الأسكندر. (**ياقوت الحموي. صفحة** 480)

ـ **الجاحظ**: هو عمر ابن بحر بن محبوب الكناني الليثي أبو عثمان المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن، كان تلميذ أبي اسحاق ابراهيم بن السيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور. (**ابن خلكان. صفحة** 471)

ـ **الري**: مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا بناها فيروز ابن يزدر جرد بناها المهدي في خلافة المنصور. (**ياقوت الحموي. صفحة** 118).

ـ **سابور بن أردشير** (336هـ-416هـ/ 1025-974م): أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة أبى نصر ابن عضد الدولة بن بويه الديلمي كان من أكابر الوزراء. (**ابن خلكان. صفحة** 345).

ـ **سامراء**: لغة من سر من رأى مدينة ببغداد على شرقي الدجلة طولها 69 درجة و3 درجة وعرضها 37 درجة وسدس بنى بها المعتصم قصرا وبقيت في إصلاح وزيادة منذ أيام المعتصم إلا أنها خربت منذ أيام البويهيين. (**ياقوت الحموي. صفحة** 136).

ـ **الصاحب اسماعيل بن عباد**: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقان، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب بالفضل ابن العميد. (**ابن النديم. صفحة** 591).

ـ **عبد الملك الجويني** (ت419هـ-478هـ/ 1086-1028 م): هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي، ركن الدين الملقب بإمام الحرمين من أصحاب الشافعي. (**الزركلي. صفحة** 306).

ـ **علان الشعوبي**: الوراق أصله من الفرس وكان راوية عارفا بالأنساب والمثالب والمناظرات منقطعا للبرامكة كان ينسخ ببيت الحكمة. (**ابن النديم. صفحة** 471).

ـ **علي بن محمد المنجم**: المنصور نادم المتوكل كان راوية الأشعار والأخبار، شاعر (ت 275هـ/ 889 م). (**ابن النديم. صفحة** 27).

ـ **الفتح بن خاقان**: هو ابن أحمد كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الآداب اتخذه المتوكل أخا. نقلا عن ابن النديم، الفهرست. (**ابن النديم. صفحة** 514).

ـ **الكرخ**: كرخ بغداد: لما ابتنى المنصور بغداد أمر أن تبنى الأسواق كلها بالعراق. نقلا عن ياقوت الحموي، المجلد 4. (ياقوت الحموي. صفحة 447).

ـ **اللؤلؤي** (ت200هـ/ 816مـ): هو أبا الأحمر أبان بن عثمان ابن يحيى ابن زكرياء اللؤلؤي عالم بالأخبار والأنساب. (**الزركلي. صفحة** 2).

ـ **محمد بن عبد الملك الزيات**: هو محمد بن عبد الملك بن إبان بن حمزة، أبو جعفر ابن الزيات الوزير (ت 233هـ/ 884م) وزير المعتصم كان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر، عالما بالنحو واللغة. (**ابن خلكان. صفحة** 94).

ـ **مرو**: الحجارة البيض تقدح بها النار وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما نسبة أيام طولها خمس وثمانون درجة وثلثان وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. (**ياقوت الحموي**. 1955. **صفحة** 112).

– مسامر: موضوع وكذلك سميراء وهو مد ويقصر. (**ابن منظور. صفحة** 379).

– الملّق: الود واللطف. (**ابن منظور. صفحة** 347)

ـ **المهلب** (ت352هـ/ 963م): أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم ابن عبد الله ابن يزيد ابن حاتم بن قبيصة ابن المهلب ابن أبي صفوة الأزدي المهلبي وزير لمعز الدولة شاعر بليغ، له كتاب ديوان الرسائل. (**ابن النديم**. 1985. **صفخى** 590).

ـ **الموصل**: مدينة مشهورة وهي محط وصال الركبان هي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. (**ياقوت الحموي. صفحة** 224).

ـ **نجف**: هي بظهر الكوفة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها. (**ياقوت الحموي. صفحة** 271).

ـ **نوح بن منصور السمائي**: هو نوح بن منصور بن نوح بن نصر السمائي أبو القاسم ويلقب بالرضى أمير ما وراء النهر مولده ووفاته ببخارى عاصمة إمارته وولي بعد وفاة أبيه سنة 366هـ/ 977 م. (الزركلي. صفحة 28).

ـ **نيسابور**: مدينة عظيمة، منبع العلماء فتحها المسلمون في عهد عثمان ابن عفان وبنى بها جامعا وقيل أنه فتحها عمر بن الخطاب. (**ياقوت الحموي. صفحة** 231).

ـ **هرات**: من أمهات مدن خراسان وهي مدينة فارسية قرب اصطخر. (**ياقوت الحموي. صفحة** 396)

ـ تضارب المصالح:

يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

ـ المصادر والمراجع:

– ابن النديم. (1985). الفهرست، حققه وقدم له مصطفى الشويمي، دار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

– ابن أبي أصيبعة(1984). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مطبعة القاهرة، مصر .

– ابن خلكان. وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، المجلد 5.

– ابن خلكان. المجلد 1.

– ابن خلكان. المجلد 2.

– ابن خلكان. المجلد 3.

- ابن منظور. لسان العرب، المحيط، معجم اللغوي علمي قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، إداد وتنصيف يوسف خياط نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت المجلد 4 (ر).

- الجاحظ. (1963). الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر، دار الكتاب العربي، المجلد 1بيروت، ط3.

- الراغب الأصبهاني. (1961)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- السيوطي. (1994)، تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4.

- - الصولي(1937).أبو بكر محمد بن يحي بن عبد الله، أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، مطبعة مصر، دط.

- القلقشندي. صبحي الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، المجلد الرابع.

- ياقوت الحموي.(1955). (ل، م، ن، ه، و، ي)،معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر.

- ياقوت الحموي. المجلد 1.

- ياقوت الحموي. مجلد3.

- أحمد أمين. (1962). ظهر الإسلام، مكتبة الطبع والنشر، مكتبة النهضة، مصر، ط10، ج2.

- أحمد شلبي. (1973). موسوعة نظم الحضارة الإسلامية تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط4.

- أدم ميتز. (1986). نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، الحضارة الإسلامية في القرن 4هـ وعصر النهضة في الإسلام، ج1، الدار التونسية للنشر.

- حسن إبراهيم حسن. (1986). تاريخ الإسلام السياسي الديني، الثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الأول في الشرق ومصر والمغرب وأندلس (132هـ-232هـ)، مكتبة النهضة المصرية، ط9.

- حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات، الجزائر.

- الزركلي. الأعلام، قاموس التراجم لأشهر رجال النساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، ط3،ج5.

- الزركلي. ج1.

- الزركلي. ج4.

- عبد القادر سلمان المعاضدي. (1983). واسط في العصر العباسي، دراسات في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية (324هـ656هـ) دائرة الشؤون الثقافية الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام

- علي محمد الصلابي(2007).دولة السلاجقة، دار ابن الجوزي، القاهرة .

- فتيحة النبراوي.(1994). تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، بيروت، ط7.

- محمد سفر الزهراني.(1986). نظام الوزارة في الدولة العباسية العهدان البويهي والسلجوقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3.

- مصطفى السباعي.(1977). من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2.

- معروف ناجي.(1985). أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3.

- هاشم زكريا هاشم.(1970). فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، دار النهضة، مصر للطبع والنشر، القاهرة.

- ويل ديورانت. قصة الحضارة، ترجمة، محمد بدران، دار جلاب، بيروت، لبنان، ج 2م 4، الأجزاء 13-14.

- شوقي أبو خليل.(1994) الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، لبنان.

ـ كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

هاشمي آمال (2026)، جهود العباسيين في إنشاء المكتبات والمدارس(132-656هـ/ 750-1258م)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 18، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص: 113-120